كتابة على الوجه الآخر لورقة الانتخاب

الى سهام جبار

عواد ناصر

لم أكتب حرفا واحدا منذ أكثر من شهر!
السبب واحد وحيد هو: العراق.
لست وطنيا بشكل عقائدي، كما أنني لست سياسيا محترفا، السياسة أحد هموم كتابتي المليون.
باختصار أنا محبط بسبب أخبار الوطن، ما عدا ذلك اليوم الذي ذهبت فيه لأسجل في المركز الإنتخابي المجاور لملعب ويمبلي الشهير في لندن.
لكن عاطفة مواطن سجل اسمه في مركز انتخابي ليست سببا كافيا للكتابة.
السبب الكافي للكتابة هو " غرفة حسنة الإضاءة" بحجم وطن.
تذكرت ذلك الشاعر الشاب، حيدر صالح، الملتبس سيرة ومصيرا، عندما كتب مرة يقول:" كل أعضائي هادئة ما عدا العراق"!!
سألني زميل صحفي من ليبيا: من ستنتخب؟ فأجبت: أنتخب القائمة التي تصون حقي بقصيدتي وكأسي وامرأتي.
هل هي أنانية ما؟ ربما! لكن هل هناك أكثر أنانية من الألم، الألم الذي لا يوجع غير مكابده؟
التقاط الجوهري، حسب جورج لوكاتش، هو العمود الفقري للكتابة. لكن ما الجوهري؟
"الجوهري" أمر نسبي مثل الكثير مما نطلق عليه مصطلح" الجوهري" فما يتبقى هو تلك اللحظة التي على الكاتب إدراكها انطلاقا من وعيه وخبرته ومهارته عند النظر إلى ما يجري حوله.
بقيت محبطا حتى قرأت زاوية الدكتورة سهام جبار قبل أيام بعنوان" ليس على مسافة من الوطن" في هذه الجريدة.
" كل عودة إلى البيت انتصار" تقول سهام. لفتت نظري إلى أن المواطن العراقي هو الوحيد في هذا العالم الذي يقاتل المصادفة. المصادفة الكامنة، ككمين، في إي زمان ومكان.
إن البقاء على قيد الحياة في العراق، وخارج العراق أيضا، يعتبر بطولة بحد ذاته، إذ ليس هناك مواطن من سكنة هذه الأرض، أجبر على عبور ممرات النيران كالمواطن العراقي.
لا قبل لأحد في تعيين البطولة والجبن باعتبار كل منهما لحظة تقع خارج الزمن الفيزيائي الذي يتحكم به قاتل مسلح يتمتع بسلطته القائمة عند تلك اللحظة.
لا معنى للبطولة والجبن باعتبارهما خصلتين إنسانيتين تخصان شخصية المرء بذاته، وما جبل عليه من عادات ذهنية أو بدنية أو جينات وراثية، بل يتحدد معناهما بالجرأة على الاختيار.
العائلة العراقية التي قررت تشكل مفرزتها الصغيرة لتتوجه إلى صندوق الانتخاب وهي تشهر أسلحتها الفردية المتمثلة بأوراق الانتخاب عائلة شجاعة بكل المقاييس حتى لو خسرت حياتها إثر سيارة مفخخة أو عبوة ناسفة تكمن لها تحت إبط الشارع، فالقاتل "المنتصر" بمقياس قدرته على سلب عدوه حياته وتحقيق الظفر حسب خطته الخاصة هو أكبر الجبناء.
حرضتني الدكتورة جبار على الكثير مما ليس بوسعي تدوينه (ككاتب مأزوم) حسب مقالها:" كل ما أنت فيه، أيها الكاتب المأزوم، حائر في تدوينه، متشكل فيك، وذلك مبطل للكتابة، مبطل للإقدام عليها بما يتآكل فيك، ماذا تداوي مع البصيص القليل من الضوء الذي تستدره من وسيلة ما، بديلة...."
.. ولكن، أليس الأزمة، أزمة الكاتب، يمكن أن تكون مفتاحا للكتابة باعتبارها محاولة لتفكيك أزمة، وللكآبة لأنها نتيجة أزمة؟
لا أعرف بالضبط..
الكتابة تنبثق من الحلم، حسب يانيس نن، والحلم لعبتنا الشعبية الأولى، " أجمل اللعب الكتابة" تقول سهام. وأغبطها جدا على قدرتها على لعب من هذا النوع، كعراقية بطلة لم تزل تحقق انتصارها اليومي على الخصم المفخخ، وهي تعود مظفرة إلى البيت.
الكتابة عمل فردي رغم كل ما يحتشد فيه من أحزان العالم وأشواقه وخيباته وآماله عبر التاريخ. لكن سهام تقول، وهي على صح أيضا:" ليس من أحد غيري معي، ليس من أحد غيرك معك.. كن وحيدا واستمر".
لأنني وحيد..
لأن كل أعضائي هادئة ما عدا العراق..
لأني قرأت كلمة الدكتورة سهام جبار فحرضتني على الكتابة كتبت قصيدة حب...بعنوان" عطر":

.....
.....
صلفٌ عطرُك
يضحكُ فرطَ استسلامِ الخدِّ
بستانٌ يسهرُ حيثُ ينامُ العالمُ
أغنيةٌ تتأملُ عينيها في مرآةْ
فترى وجهَ الطفلةِ
بجدائلِها الأولى
بدفاترِها الأولى
حائرةً بينَ القلمِ المتعثرِ والممحاةْ

الشائعة؛ صنعة

سعد محمد رحيم

كل شائعة نسق سردي متكامل ومفتوح في الوقت نفسه، دال يتضمن دلالة قصدية، دال يضمر مدلولاً يتخطى ما يفصح عنه مباشرة. فالنسق السردي ها هنا، واوضح ومبسط، يسهل فهمه حتى لأولئك الذين لم يحظوا بقسط كاف من التعليم وكذلك الامر مع تفسيره الذي يتحقق في اطار سياقه الزماني والمكاني فالشائعة لها توقيتها، ذلك اننا لا يمكن ان نفصلها عن واقعها الآني الذي ولدها. وهي تستدعي في الغالب انساقاً مكملة في اذهان الذين توجه اليهم من المتلقين، أي ان المتلقي يقوم بعملية ايجاد العلاقة بين الشائعة التي تلقاها ووقائع اخرى (حقيقية، وغير حقيقية) وبذا يتسع النسق ويتعقد وتتضخم الواقعة.
وفي البحث عن آلية اختلاق الشائعات نقع في احايين كثيرة على منطق مقنع فالشائعة قد تقترب من اللامعقول الا انها لا تتوغل عميقاً في منطقتها لتضمن شرط الاقناع، الشرط الذي لولاه تنقطع حركة الشائعة ولا تجد لنفسها مسارب للانتشار بين الناس، كما ان الشائعة تنبني على وقعة جزئية حصلت فعلاً قبل ان تتخذ نسقه السردي الذي يستمد عناصره في الاساس من المخيال. وتراعي الشائعة في سبيل تيسير عملية تقبلها وانتشارها ان تكون متساوقة مع عواطف الناس ورغباتهم وآمالهم ومخاوفهم وخلفياتهم الثقافية وخبرتهم وتجاربهم السابقة.
ويكون نسق الشائعة السردي مفتوحاً أي ان المخيال الشعبي او المؤسساتي وبحسب الظرف والموجهات والمقاصد يضفي على الشائعة رتوشاً وزوائد الى حد يمكن معها ان ينكسر النسق السابق بكليته ويحل معه نسق مغاير.
في الازمنة المضطربة تتناسل الشائعات، والشائعة وسيلة دفاعية تعتمدها المجتمعات للتعويض الوهمي عن خسائر حقيقية حصلت على ارض الواقع، انها بطريقة او بأخرى آلية اجتماعية من اجل الحصول على توازن نفسي وعقلي، يكون هشاً بالتأكيد وقابلاً للاختلال السريع، وتتغذى الشائعات كذلك على نقص المعلومات. فبقدر ما يكون المجتمع غير عارف بما يحدث فعلاً تتاح الفرصة لمن ينبري منشغلاً مخيلته لاملاء ذلك النقص. وسرعان ما تنتقل الشائعة لتنتشر في أي مكان تجد فيه من يهتم بأمرها لتكون بديلاً عن الحقيقة. وفي بعض الحالات تتغلب الشائعة المسبوكة ببراعة على الحقيقة ان كانت صورتها المطروحة موارية او باهتة او مشوشة.
وفي ظل الانظمة الشمولية تعتمد الشائعات اسلوباً فعالاً للضبط السياسي والاجتماعي، ومعياراً لردود افعال قطاعات وشرائح وطبقات المجتمع ازاء اجراءات او قرارات ينوي النظام الحاكم اتخاذها. فالشائعة في احايين كثيرة تعد صناعة مخابراتية يقف وراء بلورتها وتسويقها اختصاصيون مجربون. غير ان المجتمع نفسه يلجأ الى ابتكار الشائعات لمواجهة السلطة السياسية. فها هنا تكون الشائعة تعبيراً عن رفض جماهيري لمخرجات سلطة ما.
ان المخيال الشعبي، في ظروف القهر والظلم والاستبداد يعمل باتجاه تشويه صورة (او النيل من) القاهرين والظالمين والمستبدين. وبمقدار ما يكون الوضع السياسي مرتبكاً تكون هناك حصة اكبر للشائعات، وبمقدار ما يكون النظام السياسي (السلطة السياسية) عاجزاً عن صوغ وصنع حقائق ايجابية على الارض فإنه يعتمد الشائعات (الأكاذيب) لإخفاء عجزها، والشائعة هي المقابل السياسي والاعلامي المرادف لمفهوم اجتماعي/ اخلاقي هو الكذب. وعلى العموم فإن انعدام ثقة المجتمع بما تسوقه اجهزة الاعلام من معلومات، او ما تبثه السلطة السياسية من بيانات وخطابات يهيئ لنمو الشائعات وانتشارها.
وتعوق الشائعات عملية فهم المجتمعات طبيعة الظروف التي تمر بها ولا تستطيع معها استيعاب الضرورات التاريخية التي تؤشر اتجاه حركتها وفعلها على ارض الواقع. وفي العموم ليس من السهل معرفة مدى خطورة الشائعات في إعاقة خروج المجتمعات من ازماتها في الوقت المناسب، واكتشاف الكيفية التي تعمل على وفقها بهذا الاتجاه فالشائعة تعمق الازمة وتوسع نطاقها ايضاً، وتكون سبباً في استفحال حالات الارتباك والفوضى التي تصيب الواقع، والاخطر من ذلك ان تهمل السلطات المعنية واجهزة الاعلام والشائعات التي تنتشر وان ترفض التعامل معها ومواجهتها وان تعدها بلا اهمية او تأثير طالما هي شائعات وليست حقائق وقد تكون الشائعات في مثل هذه الاوضاع مؤشرة الى الحد الذي تعجز معها السلطات واجهزة الاعلام احياناً عن مجاراتها.
والغريب ان الشائعات لا تزال تكوّن الغذاء اليومي لكثر من المجتمعات على الرغم من الانتشار الواسع لأجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وما تسمى بثورة المعلومات التي اتاحتها وهيأت ارضيتها شبكة الانترنت، والاغرب انه في سياق لا معقول هذا الزمان نجد ان تلكم الوسائل الاعلامية وهذه الشبكة باتت هي نفسها تستخدم وسائل ترويج للشائعات او اقنية تفريخ لها.
ان السلطة السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، ناهيك عن اجهزة الاعلام تتحمل مسؤولية التصدي للشائعات كما لو انها فايروسات تشوش الوعي العام وتمزقه. واي برنامج مضاد بفعالية للشائعات يقتضي اولاً توفر الشفافية والصدق وعرض الحقائق والحوار بشأنها بروح علمية ونقدية امام الرأي العام وعدم الاستخفاف بعقول الناس.
الشائعة صنعة، وما يمكن ان يتعامل معها لا بد من ان يكون صنعة كذلك.

قصة قصيرة

مقبرة..ونزيل

زيد الشهيد

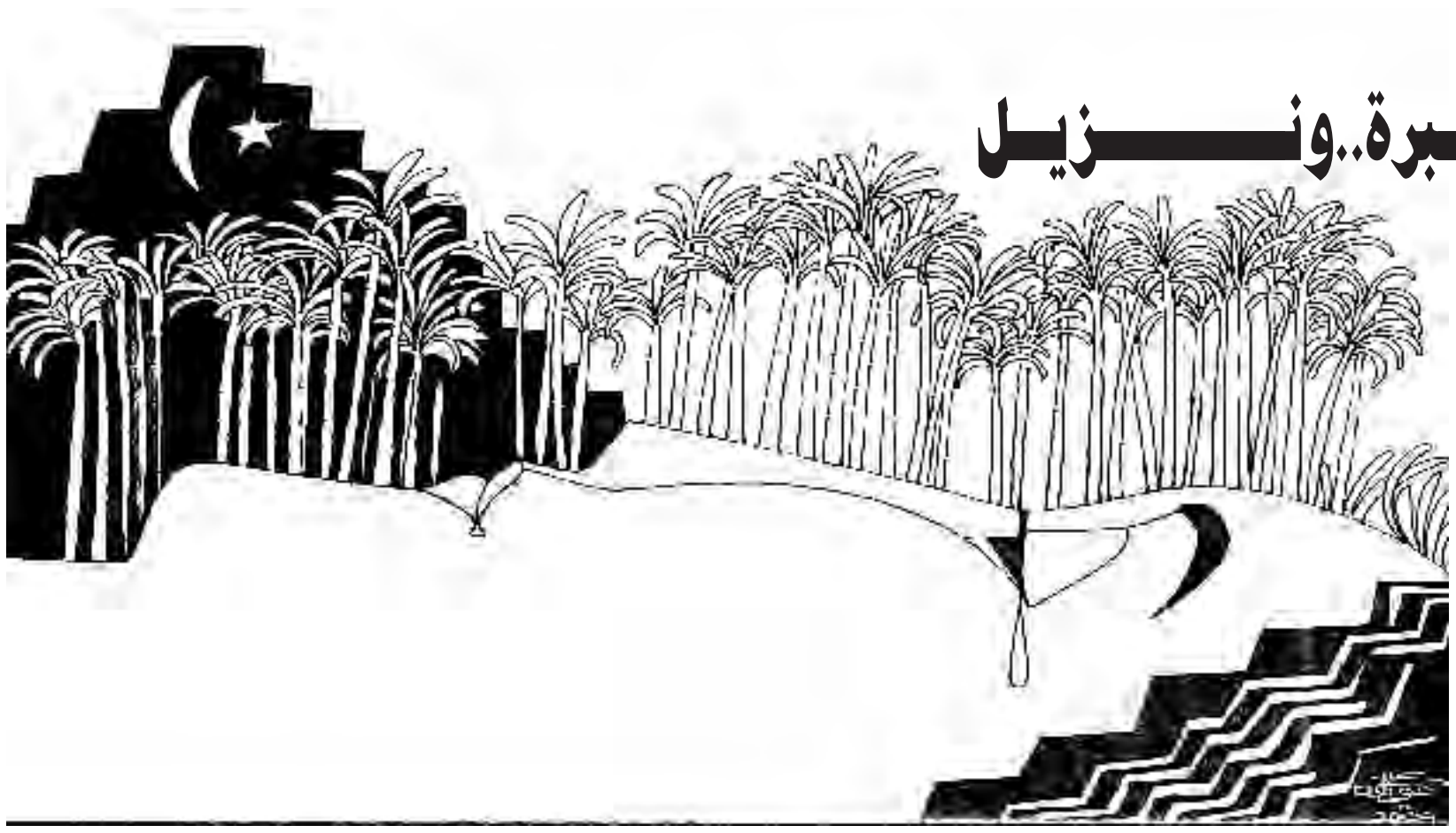

دفنوه واستراحوا..أهالوا فوقه تراب النسيان، طاوين صفحة الاحاديث البائدة عنه مفضلين عدم ذكر او تكرار فحوى افعال ارتكبها بحقهم فألمت بهم تواليات من المآسي، واقوال ادعاها زوراً على السنتهم فقادتهم الى غياهب الاذى والعذاب، وان ذكر-لماماً- صاح احدهم: (اذكروا محاسن موتاكم)، فتستعيد الافواه وتكتفي بالتمتمة (كانت المقبرة تعيش الصمت الابدي وتتنفس هواءً محنطاً...الموتى ينعمون برقاد سحيق يعمه السكون وخلوة طويلة انتظاراً لليوم الموعود..لكن حدثاً-بمثابة صراخ وصدام وقرقعة سيوف خشبية مكتومة تتبارز - استجد يتكرر في اماكن متفاوتة من المقبرة رجرج خارطة القبور؛ مقضاً النوم الساري للنزلاء الازليين، صاح النائمون: ماذا يجري؟! ولماذا هذا الصخب المريع؟..نحن لم نفعل ما يغيظ؛ لا ولا شأن لنا بالآخرين، صمتوا قليلاً بانتظار من يرد او من يلغي مسببات الحدث عبر التوضيح، ثم الاعتذار..غير ان اسئلتهم امتصها الهواء المحنط وجففها.
دفنوه واستراحوا..اهالوا فوقه مراثي الفقد واكواماً من النسيان المرغوب..قالوا سيتولى الملاكان مهام استفهامه وعسى ان يدونا في (اجندته) ما يعينه على استقبال الموتى له بحنو دفيء ومواساة رهيفة، قائلين: هذا حال الاولين ومآل القادمين، فلا تتكدر، نحن اخوة لك واخوات).
قطعاً سيصير ذكرى لدى الآخرين ويوماً بعيداً، والحياة تأخذ مجرى النهر الذي اوله وآخره مصب. الناس فيها ماء جار، يستأنسون الارض المنسابة مثلما يجزعون للتعرجات والانكسارات المباغتة، غير المحسوبة..لكن ضجر النائمين تفاقم؛ وتعالت شكاواهم. امسوا -ليلياً- يقتحمون بصراخ وضجيج/ تصادم سيوف خشبية مكتومة،تكسر اجرات جدران فيصرخون بأعلى طبقات تذمرهم: ما هذه الفوضى التي حلت لتسرق رقادنا ؟! وكيف حصل هذا التغاضي عن محاسبة الجناة؟..من يرتكب هذه الفوضى الهادرة ؟ ولماذا ؟!
طفقوا ناهضين..تركوا اجداثهم وتحركوا صوب رقعة الحدث..وهناك رابهم المشهد وافزعهم. رأوا اقرانهم الموتى في حومة صراع يتقاتلون ، اسلحتهم عظام يتقاذفونها؛ وشاهدات القبور دروعاً يتخذونها..تتفكك الهياكل والصراخ يعلو: صرخات غضب، صرخات عنف، صرخات الم..ولقد هالهم الامر لحظة ابصروا النزيل الجديد يتكئ على انهمار قبر يتابع بانشراح وجذل حيثيات الموقف ثم ينسل متخفياً، بينما الذين خلفوه تحتهم ظنوا بموته اراح واستراح.

(٢٥)دولة و(٢٥٠) ناشرا في معرض القاهرة الدولي للكتاب

يشارك ٢٥٠ ناشرا من ٢٥ دولة في الدورة السابعة والثلاثين لمعرض القاهرة الدولي للكتاب الذي يرافقه هذا العام برنامج ثقافي يحتفي بعدة مناسبات تاريخية اثرت في الثقافة العالمية والمحلية.
ولم يحدد المنظمون عدد الكتب التي ستعرض في هذه الدورة، التي تبدا الاربعاء وتستمر حتى الثامن من شباط المقبل، مع ملاحظة وجود تراجع في عدد الدول والناشرين المشاركين فيها عن السنوات السابقة الا ان مدير الهيئة العامة المصرية للكتاب، الجهة المنظمة للمعرض، وحيد عبد المجيد اعاد اسباب هذا التراجع الى "الاختلاف في طريقة الاحصاء التي اصبحت الان اكثر دقة".
ومن ابرز محطات البرنامج الثقافي المرافق لهذا الدورة الاحتفال بمناسبات تاريخية ثقافية وسياسية هامة تزامنت ذكراها معه هي مرور ٧٠٠ عام على رحلة الرحالة العربي المغربي الشهير بن بطوطة الى دول المشرق التي اوصلته الى بلاد الهند.
وايضا مرور ٣٠٠ عام على ترجمة كتاب "الف ليلة وليلة" الى الفرنسية التي سبقت الطبعة الانجليزية بخمسين عاما و٢٥٠ عاما على مولد المؤرخ المصري الجبرتي الذي ارخ لفترة حكم المماليك والحملة الفرنسية على مصر ومرض الطاعون الذي اودى بحياة الكثيرين في مصر.
وكذلك الاحتفال بتولي محمد علي باشا الحكم في مصر باعثا نهضتها الحديثة من خلال الاصلاحات التي ادخلها والبعثات التعليمية التي ارسلها الى الخارج للاستفادة من الحضارة الغربية.
ويسجل للبرنامج الثقافي في هذه الدورة دعوة عدد من المغتربين العرب المبدعين للمشاركة في حوار الثقافات ومن ابرزهم الكاتبة المصرية اهداف السويف التي تكتب بالانكليزية الى جانب السوداني جمال محجوب والمغربية فاطمة المرنيسي التي تكتب بالفرنسية والعربية.
كما تقام في اطار المعرض ثلاث ندوات يشارك فيها من ضيوف الشرف الاجانب الحائزين جائزة نوبل للاداب الكاتبة الجنوب افريقية نادين جورديمير والكاتب الفرنسي روبير سوليه.
ويتضمن البرنامج الثقافي ايضا نقاشات حول عدد من الكتب التي صدرت في مصر خلال العام المنصرم الى جانب فعاليات المقهى الثقافي الذي يتيح الفرصة امام الادباء الشباب لمناقشة اعمالهم مع النقاد.
وتتميز الدورة الحالية ايضا بقيامها للمرة الاولى بتضييف المانيا كضيف شرف. ويتضمن هذا التقليد الجديد اقامة مجموعة ندوات ثقافية وفكرية وفنية المانية يتحدث فيها المان وعرب، من بينها ندوتان بعنوان "المانيا بالعربية" و"نوبل ٢٠٠٤".
وتشهد الدورة الحالية تطويرا في ديكورات القاعات وفي اعادة تنظيم سوق الازبكية المتخصص في بيع الكتب القديمة باسعار مناسبة للمستهلك العادي.

ورقة سامي عبد الحميد الخضراء تمجيد الحلم الإنساني المضيء

عبد العزيز لازم

تسافر إلينا عبر عقود من السنين وتحديدا منتصف السبعينيات (وقد تكون قبل ذلك)من القرن الماضي لتعيد إلينا ترديد تلك الانشودة الأبدية : إن الإصرار على رؤية المضيء في مستقبل حياتنا هو كفاح مصيري وهو هوية ملونة لبني البشر . رواها لي أحد الأصدقاء ممن شهد الحدث الجديد آنذاك . صالة المسرح مكتظة بالنضارة من ممثلي مختلف الأجيال ، لكنهم موسومون بهوية ثقافية مسرحية يطلق عليها أحيانا اسم نظارة الستينيين أو السبعينيين ، أعوام الإنفلات الثقافي والمعرفي واعوام الأحداث المصيرية التي ضللت حياة الشعب . الحدث هو عرض مسرحي لرائعة ساموبل بيكيت (في انتظار غودو) ، هذه المسرحية المثيرة للجدل ولدت في حضن مسرح اللامعقول لتعكس نظرات العالم (او نظرة الكاتب) المتسمه بالقلق القانط والشعور بالإحباط وانحسار الأمل ، رغم إنها تنطوي في داخلها العميق على التحريض الخفي لرفض الهزيمة .
شجره عجفاء ناضبة يتناغم حالها مع أجواء المسرحية ، تظلل فلاديمير واستراغون ، شابان قد وضعا العالم وراءهما وانشغلا في قضية واحدة وحيدة هي انتظار غودو الذي لا نعرفه ، غودو الذي لم يأت في أية نهاية ، انتظار لا نهائي وراء الزمن وعطش عبثي للقاء كائن خفي يريدنا الكاتب أن نقتنع سلفا بأنه لن يأتي .
فلاديمير واستراغون كائنان لا تربطهما بالعالم علاقة واضحة المعالم ، كما لا يوجد ما هو مشترك بينهما غير الرغبة في الانتظار . شاءت قوه ضبابية غير معلومة أن تضعهما تحت شجرة لا تمتلك ظلا أي لا تمتلك ما يؤهلها لأن تكون شجره ، وهي بذلك تمارس لعبة الانتظار مثلهما لعل غودو الغامض حين يأتي يعترف بجنسها وتبلغ المسرحيه ذروة اللامعقول حين يتحول غودو نفسه إلى عامل اضطهاد ضد النظاره وضد الشخصيتين الرئيسيتين وشجرتهما أيضا بعد أن يتبين ان حضوره أمر غير ممكن وغير بات ، وان العبث وحده هو الذي يديم عملية الانتظار فتنتهي الجدوى من حضوره .
لكن لابد من الانتظار ولابد من ان يأتي العراقي سامي عبد الحميد المشحون بالقدرة المتراكمة على تحريك الدم في العروق المرهقة فيعلن بيانه على جمهور المسحورين بلغة ساموبل بيكيت وحركات شخوصه المدهشة المحلقة ، فيضع ورقة خضراء قد استمدت عنصر الحياة فيها من طين الرافدين . واستمدت إصرارها على الاخضرار وقدرتها على إطلاق الوعد العظيم من أنفاس الإنسان الصبور بالغ الحيوية ، فتعلقت في جسد شجرة مغلوبة على أمرها أرادها بيكيت أن تكون رمزا للبؤس الإنساني.
ان ورقة سامي عبد الحميد المزدهرة قد اعادت الثقة الى شجرة كانت قد أوشكت على أن تفقد هويتها فحصنت قلوب المشاهدين ضد كآبة الانتظار العبثي وضد ازدراء الإنسان وسحب الثقة من عرقه الساخن فتعاملت مع النص الأصلي بتفهم عميق وتفاهم رفيق ، فكان افتراضنا ان يتقبلها بيكيت نفسه خاصة وان النص قد استوعبها ليضمها إلى جوهر تأملاته ، بل إن غودو نفسه إذا لاحت يداه فسوف ترميها ببركاته الكبرى .
نحن لا نريد أن نناقش إشكالية الشكل والمضمون لهذا العمل العالمي الذي لا يزال يختزن المزيد من الإدهاش والمتعة ، لكننا إذ نتذكر ونعيش ظرفنا المليء بالتفجرات ، وبالمزيد من خطط استهداف الإنسان وجرح آدميته وتهشيم كرامته، تلك الخطط التي تساهم في وضعها وتنفيذها قوى شتى من الداخل والخارج ، قوى تجد حساباتها تتقاطع مع مصالح الشعب العراقي وحساباته فتلجأ الى ضرب إرادته وتفتيت أحلامه في السلام والأمن والأزدهار ، لابد لنا وان نستطلع دور مسرحنا ومسرحيينا في تأجيج قوة الأمل في نفوس نظارتنا وتعزيز عرق الإصرار على رؤية المضيء من المستقبل .
لقد رأينا بغداد وهي تحتضن مهرجان (المسرح الفقير) لتؤكد إن ذلك الخيط من الضوء مكتوب له ان يبهر الأبصار ومكتوب له أن يهزم خبث الظلام ، فبغداد عازمة على إعادة العافية إلى عقل المسرح وخطط المسرح . والمسرح الفقير يذكرنا بالأيام المجيدة الأولى لولادة مصطلح (الفقير) حين كانت حركة التصوف العراقية النورانية الجبّارة تأخذ بيد الإنسان وتناصر قضية المظلومين والمنتهكين فكان(الفقير) اسما معروفا للمتصوف لأن :(الفقر هو مناط شخصيته المنخلعة من رق المال والتملك) .